الفصل الثالث

التبشير الحديث في إفريقيا

1 - أهداف التبشير ووسائله
2 - البعثات التبشيرية والتعليم
3 - التبشير والعائلة الإفريقية
4 - نتائج التبشير
5 - التقاء التبشير بالاستعمار

obeikandl.com

obeikandl.com

1- أهداف التبشير ووسائله:

كانت البعثات التبشيرية في الطليعة الأولى، في ميدان نشر الثقافة الغربية في إفريقيا حيث قامت هذه الأخيرة بنشاط كبير في ميدان التعليم[1]، غير أن الاحتلال الفرنسي اضطر أن يشرف على التعليم بنفسه دون أن يهمل مؤازرة البعثات التبشيرية، وجعل من التعليم وسيلة للتقرب بينه وبين الشعوب المستعمرة[2]، كما كانت الغاية من نشر هذا التعليم منافسة للدين الإسلامي[3] من جهة وانتشار اللغة العربية في إفريقيا الغربية من جهة أخرى.

لقد عرفت إفريقيا الديانة المسيحية خلال مرحلتها الأولى، ويبدو أن منطقة النيل كانت المنطلق الأول للمسيحية نحو غرب القارة، ذلك بعد أن توغلت هذه الديانة الأخيرة في مصر، وفولتا العليا، وإثيوبيا، ودامت هذه المرحلة حتى بداية القرون الوسطى، حيث لم تستطع المسيحية أن توقف هذا الزحف الإسلامي نحو السنغال وإفريقيا السوداء الغربية، ثم ظهرت المسيحية مرة أخرى خلال القرن الخامس عشر الميلادي في إفريقيا الغربية وتحت ثوب آخر يختلف شكلا ومضمونا عن المرحلة الأولى[4].

وتماشت المسيحية تبعا للاستعمار الأوربي في المنطقة[5]. وعمد المبشرون إلى استعمال وسيلتين في غاية الخطورة، وذلك قصد تمسيح الأفارقة. والوسيلة

---

(1) Af. et Asie: 1/Tr. 1948 P. 15.

(2) د/ حسن أحمد محمود: المرجع السابق ص 36-37.

(3) عـ/ فروخ: ص 74.

(4) Af. et Asie: 2/Tr. 1948 No 4 P. 6.

(5) Afribue et Asie: 2 Tr. 1948 No 4 P. 6.

الأولى تتمثل في الخدمات الطبية، حيث أنشأ المبشرون المستشفيات والعيادات، كما أنشأوا مئات المؤسسات الطبية الشيء الذي أدى إلى تنمية العلاقات بين المبشرين وأهل البلاد. أما الوسيلة الثانية فتتمثل في إنشاء المدارس المسيحية. وقد شهدت هذه المدارس إقبالا فائقا من قبل الزنوج الأفارقة، وفي مرحلتها الأولى سيطرت البعثات التبشيرية على ما يقرب من 85٪ من المدارس[1].

وقد يرجع الفضل إلى البعثات التبشيرية، في نشر الحضارة الأوروبية في إفريقيا حيث كرس الآباء البيض حياتهم لنشر المسيحية والحضارة الغربية في البلاد. وكان السنغال من حظ آباء روح القدس واهتم المبشرون في السنغال علي الخصوص بالخدمات الاجتماعية والثقافية والصحية وكل الوسائل التي تقربهم من الأهالي السنغاليين[2]، وكانت البعثات التبشيرية قوية ماديا، وحظيت بالتشجيعات على مختلف أنواعها من قبل الأوروبية وكل من كان له مصالح في إفريقيا[3].

وتاريخ بعض البعثات التبشيرية مليء بالتضحيات، فقد قضت الأمراض المنتشرة في إفريقيا الغربية والأوبئة على كثير من عناصرها، ولم يثنهم ذلك عن هدفهم، وقد حل محلهم آخرون[4]. «وحذا بعضهم حذو القساوسة الأولين الذين عاصروا المسيح»[5]. وأبدوا إزاء الافارقة «عواطف إنسانية، ورغبة في مودتهم وصداقتهم»، وأظهروا الرجل الأبيض في ثوب آخر، خال من المادة وضروب الأنانية وحب النفس، وكثير منهم من كان يحسن اللغات الإفريقية، بل كان الآباء البيض أول من اهتم باللغات الإفريقية ودراستها قبل غيرهم[6].

وعمد المبشرون البيض على اختلاف مذاهبهم إلى استعمال كل الوسائل للحصول على إيمان الوثنيين الزنوج في السنغال. وأثارت قضية التمسيح خلافات

(1) د/ حسن أحمد محمود: ص 36-37.

(2) A. GOUILLY: P. 257.

(3) Infor. Catholique Internationales: No 71 1/5/58 P. 24.

(4) نعيم قداح: ص 193.

(5) KI-ZERBO: His. de l'Afrique Noire Paris 1965 p. 186.

(6) A. GOUILLY: P. 257.

ومنافسات شديدة بين المسيحيين الكاثوليك والبروتستانت[1]. وكانت هذه الخلافات عاملا من عوامل فشل التمسيح في السنغال، فبينما نجد المذهبين الكاثوليكي والبروتستنتي يتصارعان، فالإسلام يكون كتلة واحدة. ولهذا نفر الزنجي الوثني من المسيحية واتجه نحو الإسلام[2].

واستخدم التبشير كل الوسائل والأساليب منها التقليدية والعصرية لبلوغ أهدافه. وعمد التبشير في أول أمره في غرب إفريقيا إلى الاتصال بالأفراد وزعماء القبائل، ثم استعمل المبشرون وسائل عصرية، تتمثل خاصة في التمييز بين المسيحيين الزنوج وغيرهم من سكان البلاد، ويستغل التبشير الظروف الاجتماعية المتدهورة في القارة السمراء، ويتخذ من ذلك وسيلة للتقرب من أهل البلاد، فيقدم للأهالي الأفارقة الإعانات المادية[3]. ويفتح المدارس وينفق عليها ويشرف عليها بنفسه، وكان من الآباء البيض المعلم، والطبيب، والممرض، والمربي[4].

ويستعمل التبشير الصحف والإذاعات والكتب وغيرها من الوسائل. ودرس المبشرون الديانة الوثنية الإفريقية واستخدموها كوسيلة لغرس ديانتهم في نفوس الأهالي ونشرها بينهم[5].

وأدرك المبشرون مكانة اللغة العربية بين الأوساط الإفريقية فتعلموها، واستخدموها كوسيلة للتقرب من أهل البلاد؛ زيادة على اطلاعهم الواسع على تاريخ القارة وجغرافيتها وعاداتها وتقاليدها وكل ما يؤثر ويتأثر به الفرد الإفريقي[6].

---

(1) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.(*)

(*) انظر تقرير الحاكم فالون بتاريخ 20 سبتمبر 1882 - ملحق.

(2) A. GOUILLY: P. 268.

(3) د/ عبد الحليم عويس: المسلمون في إفريقيا ـ مجلة الأصالة عدد 43/42 ص 60.

(4) A. GOUILLY: P. 257.

(5) د/ عبد الحليم عويس: المرجع نفسه.

(6) نعيم قداح: ص 194-195.

ولـم يحترم المبشرون البيض أبسط حقوق الإنسان في إفريقيا، بل عمد الرهبان البيض إلى استعمال القوة والإكراه في بعض الأحيان لتنصير السنغاليين مثلاً [1].

2- البعثات التبشيرية والتعليم:

كان التعليم ولا يزال الركيزة الأساسية التي يرتكز عليها التبشير؛ ولا نستطيع أن نتكلم عن التبشير في إفريقيا دون أن نتكلم عن المدرسة، فكلاهما لا ينفصل عن الآخر[2].

ويبدو أن التعليم التبشيري قد مر بعدة مراحل، فالمبشرون الأوائل الذين قدموا إلى السنغال كانوا على جهل تام بالبلاد وسكانها. واقتصرت مهمة هؤلاء المبشرين على التنصير المباشر[3]. وقد لاحظ المبشرون البيض بعد مدة أن التنصير المباشر لم يعط النتائج المرجوة[4]. فغيروا خطة عملهم، بعدما كان اهتمامهم الأول متجها نحو الكبار، اهتموا أكثر بالأطفال الصغار، لأنهم أكثر تقبلا لديانتهم، وحذا المبشرون في السنغال حذو الطرق الصوفية الإسلامية واشتروا العبيد وشرعوا في تكوينهم وتعليمهم.

وفتح المبشرون البيض ملاجئ للأيتام لنفس الغرض، لكن هذا العمل الذي قام به المبشرون قد أثار استياء الطبقات النبيلة، وأعيان البلاد فعدلوا عن هذا الاتجاه[5].

إذن لم يبق أمام المبشرين البيض إلا إقناع الآباء الأفارقة، لإرسال أبنائهم إلى

---

(1) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.(*)

(*) انظر تقرير حاكم السنغال السيد فالون بتاريخ 19-9-1882 ملحق.

(2) J. BOUCHAUD: L'Eglise en Afrique Noire Paris 1958 P. 69.

(3) A. GOUILLY: P. 257.

(4) J. BOUCHAUD: P. 69.

(5) J. BOUCHAUD: P. 69-70.

المدارس التي يشرفون عليها. لكن سكان البلاد وقفوا موقفا سلبيا من هذه المدارس وأصحابها[1].

وتفهم الآباء البيض أنه «لابد من تكوين الرجل قبل تكوين المسيحي». وهذا هو الجسر الوحيد الذي تعبر عليه المسيحية إلى قلوب الأطفال الأفارقة. كما تفهموا بأن رفع مستوى الجماهير وتغيير بعض المفاهيم الاجتماعية التي توطدت في البلاد قبل دخول المسيحية، لايتأتيان إلا بواسطة التربية والتعليم[2]. لذلك كانت المدرسة المحور الرئيسي الذي كان يدور حوله النشاط التبشيري[3] في غرب إفريقيا. لكن مع مضي الوقت لاحظ الآباء البيض، أن النتائج التي حصلوا عليها هزيلة جدا بالنسبة للمجهودات التي بذلوها في هذا الميدان.

ويبدو أن سبب إخفاق المدارس التبشيرية راجع إلى أن التلاميذ بعد الانقطاع عن الدراسة يرجعون إلى ذويهم وآبائهم في الغابات وينسى هؤلاء الأطفال كل ما تعلموه. وفي بعض الأحيان يُكنّون الكره والحقد لمعلميهم ويبثون الدعايات ضدهم[4]. أما في مجال تعليم البنات فكانت النتائج التي حققها الآباء البيض أكثر سلبية بالنسبة للذكور[5].

وأمام هذه النتائج الهزيلة التي حققتها الأديرة المسيحية في مجال التعليم بواسطة المدرسة، أُعطيت الأولوية مرة أخرى للتمسيح المباشر، دون إلغاء المدارس، وفي هذه المرحلة ركّز الآباء البيض على التربية الدينية، التي كانت تدرس باللغات المحلية في السنغال[6]. ولكن هل يكفي هذا من أجل تمسيح الأفراد؟ . .

---

(1) يقول نعيم قداح نقلا عن السيد بيرنيز (A. PIERNEZ) المؤرخ الانجليزي من كتابه تاريخ نيجيريا ص 249 في مجال اشمئزاز الأفارقة من الأديرة المسيحية: «إن سكان هذه المناطق من الزنوج يخافون الإنسان الأبيض ويفزعون منه كما يفزع الإنسان من الحيوان المفترس. . .».

(2) J. BOUCHAUD: P. 70.

(3) عـ/ فروخ: ص 66.

(4) J. BOUCHAUD: PP. 70-82.

(5) انظر جدول تعليم البنات في السنغال بين سنتي 1903-1920.

(6) D. BOUCHE: P. 777.

3- التبشير والعائلة الإفريقية:

أدركت البعثات التبشيرية في إفريقيا بسرعة، بأن تمسيح الأفراد الأفارقة لا يكفي، بل يجب ترسيخ العادات والتقاليد المسيحية في المجتمعات. وهنا بدا لهم دور العائلة كدور حساس ذى أهمية كبيرة لنشر ديانتهم بين الأوساط الإفريقية، وتوطيد أركانها في البلاد[1].

إن إنشاء العائلة المسيحية الإفريقية بكل ما تحتويه هذه الكلمة من معان، يبقى المشكل الحساس الذي تعاني منه الكثير من البعثات التبشيرية في البلاد إلى يومنا هذا[2].

ولعل الشيء الذي حال دون تحقيق ذلك هو تصادم العقائد المسيحية بالعادات والتقاليد الإفريقية الموروثة[3]. زيادة على أن مفهوم الأسرة نفسه يختلف بالنسبة للسنغاليين والأوروبيين، فالمرأة مثلا في بعض المجتمعات الإفريقية تخضع لأبيها أو لأخيها الأكبر ولو بعد زواجها. وهي بنت أبيها قبل أن تكون أما لأطفالها. بل قبل أن تكون زوجة لزوجها، ومن ثم فالمرأة أحيانا تتطلق مؤقتا تنازلا لرغبة أبيها[4]، وأخيها الأكبر.

وبعد الزواج يبقى الزوجان يبديان تمسكا شديدا بأسرتيهما الأصليتين فالرجل يميل خاصة إلى إخوته. أما المرأة فتبقى دائما تابعة لأبيها. وتبعا للتقاليد الموروثة فالأطفال الذين تنجبهم من زوجها ينتمون أكثر إلى إبيها أو إلى أخيها الأكبر منه إلى زوجها. كما أن شراء النساء، واستبدال العاقرات منهن بغيرهن، يبقون عائقا كبيرا أمام قيام أسرة مسيحية سنغالية على النمط الأوروبي المعروف[5].

والملاحظ هو أن جل الأفارقة المتنصرين مهما بلغوا من التطور والتحضر،

---

(1) Afrique et Asie: 1/Tr. 1948 P. 15.
(2) J. BOUCHAUD: P. 70 à 82.
(3) J.L. MONTEZER: P. 39.
(4) J. BOUCHAUD: PP. 84 à 86.
(5) Madha Banicar: Révolution Africaine - Beyrout - 1962- P. 33.

عندما يتعلق الأمر بالشئون العائلية، فهم يفكرون تفكيرا «عتيقا بدائيا». ومما سبق تتجلى أهمية المرأة والدور الخطير الذي تلعبه في المجتمع[1]. وأدركت البعثات التبشيرية هذه الأهمية وعملت كل ما في وسعها لنشر التعليم الفرنسي وجذب البنات الإفريقيات إلى أديرتها ولكن بدون جدوى[2]. حيث نجد بنتا واحدة من بين خمسة أو ستة أطفال في هذه الأديرة[3].

ويبدو أن سبب عدم التحاق البنات بالمدارس الفرنسية العمومية أو التبشيرية إما أن يكون اقتصاديا، لأن البنت تقدم خدمات كثيرة لأمها في المنزل أو في القرية، وبالتالي تمنع من الذهاب إلى المدرسة[4]، لأن التعليم في نظر الأفارقة يحضر البنت في فترة متقدمة من سنها جنسيا الشيء الذى يؤدي إلى اختلال التوازن في تصرفاتها وتربيتها وتفقد البنت المهمة التي أنيطت بها منذ الأزمنة القديمة كزوجة إفريقية أصيلة[5].

4- نتائج التبشير:

ولكن هل نجحت البعثات التبشيرية في أداء مهمتها التعليمية والثقافية في السنغال؟

إن حركة التبشير بين الوثنيين الأفارقة لم تنجح ذلك النجاح المنشود الذى ينتظره أصحابها، فبعد أن استغرقت أكثر من نصف قرن من الزمن، لم تتعد نسبة المتمسحين 10٪ من سكان القارة، وهو نجاح ضئيل إذا قيس بمقياس الجهود التي بذلت[6].

ونستطيع تلخيص أسباب هذا الإخفاق فيما يلي[7]..

---

(1) J. BOUCHAUD: PP. 88-89.

(2) انظر جدول تعليم البنات في السنغال بين سنتي 1920/1903.

(3) J. BOUCHAUD: opjcit; P. 90.

(4) D. BOUCHE: P. 77.

(5) J. BOUCHAUD:ophcit; PP. 89-90.

(6) V. MONTEUIL: L'Islam en Marche- Le Monde- 14. 6. 1960.

(7) حسن أحمد محمود: ص 39 - 41.

1- إدراك أهل البلاد لانقسام المبشرين البيض على أنفسهم، والعداء الذي يكنه كل طرف للآخر.

2 - الاختلافات المذهبية، وانقسام المبشرين أنفسهم إلى بروتستانت وكاثوليك وانتقال الصراع من أوروبا إلى إفريقيا.

3 - اختلاف لغة التبشير والتعليم باختلاف الدول المستعمرة.

4 - اضطراب مناهج المبشرين ووسائلهم، فريق يقف من الثقافة الإفريقية موقفا سلبيا والآخر العكس.

5 - تناقض الرهبان البيض بين المثالية والواقع.

إضافة إلى أن المسيحية حملت إلى الإفريقي على أنها دين الأسياد، والمسيحية التي يتعلمها توحي إليه أنه أحط منزلة من معلمه وأكثر خضوعا له. والأدب المسيحي نفسه يكره الزنوج ويحط من قدرهم.

وفوق ذا وذاك ارتبطت المسيحية بالحضارة الأوروبية؛ وفرضت على الإفريقيين نزعة مادية معينة تتناقض مع سمو المسيحية وروحانيتها[1].

ويرجع بعض المؤلفين الأوروبيين سبب إخفاق البعثات التبشيرية في ميدان التعليم، إلى الأخطاء التي ارتكبت في هذا الميدان، وذلك مثل عدم وجود برامج تتلاءم مع الواقع الإفريقي، وتوفير الأساتذة الأكفاء، فضلاً عن أن التعليم كان ميكانيكياً. وأحياناً يكلف بهذه المهمة أفارقة تنقصهم الخبرة المهنية، وينصب هؤلاء بدون تكوين ثقافي، ولعل الأهم من هذا كله هو ندرة المدارس[2].

أما المدارس القليلة التي كانت موجودة، فلا يذهب إليها إلا عدد ضئيل من الأطفال[3].

---

(1) نعيم قداح: ص 198.

(2) J. BOUCHAUD: PP. 88-89.

(3) J.L. MONTEZER: P. 39.

وإلى جانب النتائج السلبية التي حققها التعليم التبشيري في السنغال، ترك آثارا سيئة في جميع الجوانب الاجتماعية، ففى الميدان الاقتصادى ترك الإفريقيون وسائلهم التقليدية لكسب معيشتهم. ولم يستطع النظام الجديد أن يعوضهم عنها بشيء آخر. والمفروض أن التعليم الذى رسمه الأوروبيون للأفارقة كاف لجعلهم يتلاءمون مع الحياة الجديدة[1]، غير أن التعليم الفرنسي في البلاد يفقد الناس صفتهم الإفريقية ويجعلهم فرنسيين؛ زيادة على أن هذا التعليم لا يهيئ الفرص التدريبية المهنية إلا لعدد محدود من أهل البلاد[2].

وترك التعليم التبشيري أيضا آثاراً سيئةً في الناحية الدينية، لأن الأفارقة الذين تمسحوا أدركوا أن الأوربيين أنفسهم لا يطبقون مبادئ المسيحية[3]. فضلا عن أن المبشرين لا يحترمون عادات وتقاليد البلاد الموروثة[4].

وفي الناحية الاجتماعية ترك التعليم أسوأ الأثر، إذ قطع صلة الأفارقة بماضيهم واضطربت نظم الأسرة وازدادت مشاكلها وتعقدت[5]. واعتنى التعليم التبشيري بالرجل وترك المرأة على حالها، الشيء الذى خلق هوةً كبيرةً بينها وبين الرجل، وقل إقبال المتعلمين من الرجال على الزواج بالنساء غير المتعلمات وخاصة منهم المتنصرين[6].

5- التقاء التبشير بالاستعمار:

عندما تنازلت بريطانيا عن مراكزها التجارية في السنغال لصالح فرنسا، وذلك بمقتضى معاهدة سنة 1816م، لم يكن هناك أي تعليم يذكر في البلاد سوى التعليم التقليدى العربي المتمثل في الكتاتيب القرآنية[7].

(1) حسن أحمد محمود: ص 38-39.

(2) Madha Banicar: P. 33.

(3) A. GOUILLY: P. 257.

(4) نعيم قداح: ص 193.

(5) حسن أحمد محمود: ص 38-39.

(6) BOUCHAUD: PP. 89-90.

(7) G. HARDY: L'Ens. au Senegal Paris 1920 P. 38.

وفي نفس السنة سارع وزير البحرية الفرنسية الذي كان يشرف آنذاك على مستعمرات ما وراء البحار، سارع لتعيين الكولونيل شيمالتز (SCHMALTS) كحاكم عام لإفريقيا الغربية والتحق هذا الأخير بمنصبه الجديد يوم 17 يونيو 1816[1].

وكان المطلوب من الكولونيل شمالتز (SCHMALTS) أن يستعيد الأراضي التي نصت عليها معاهدة باريس التي أبرمت بين الحكومة الفرنسية من جهة، والحكومة البريطانية من جهة أخرى بتاريخ 20 نوفمبر 1815 وذلك حسب خطة استعمارية مرسومة. وكان على شمالتز أن يدرس كيفية التوسع الاستعمارى الفرنسي في إفريقيا الغربية؛ وأن يعمل على تعزيز العلاقات التجارية بين السنغال وباقي بلدان إفريقيا الغربية من جهة وفرنسا من جهة أخرى[2].

كما طُلب من شمالتز (SCHMALTS) أن يضع الدعائم الأولى لنشر الحضارة الغربية في المنطقة وأن يسهر على ترسيخها بين أهل البلاد، وذلك بتشجيع وتدعيم عملية التبشير في السنغال، على الخصوص وأن يهيئ بكل الوسائل المتوفرة لديه الأهالي السنغاليين للتمسيح[3].

والملاحظ هو أن التعليمات الأولى التي أعطيت للكولونيل شمالتز لم تتطرق إلى قضية التعليم في السنغال وفي باقي أقطار إفريقيا الغربية، غير أنه لم تمض سنة واحدة على تعيينه حتى سارع وزير البحرية إلى إصدار برنامج تأسيس مدرسة ابتدائية في السنغال تسهيلا لعملية التبشير ومهمة التبشير. وفي 30 يناير 1817 عُزز هذا البرنامج بمنشور وزاري ينص على طريقة التعليم التي يجب أن تسير عليها هذه المدرسة خاصةً، والتعليم في السنغال عامةً. وفي افتتاح الموسم الدراسي لسنة 1817-1818 وصل أول معلم فرنسي للسنغال[4].

(1) J. GAUCHER: Les débuts de l'Enseignement en Af. Paris. 1968 PP 17-19.
(2) J. GAUCHER: PP. 17-19.
(3) J. GAUCHER: Même Pages.
(4) وصل أول معلم إلى السنغال بتاريخ 9. أكتوبر. 1817 وقد نزل في مدينة قوري. «وهو السيد: جان دار (J. DAR) وكان عمره 27 سنة، أعزب من عائلة متوسطة تقطن بجنوب فرنسا».

وكانت أول مدرسة حكومية فرنسية فتحت أبوابها للتلاميذ السنغاليين في مدينة سان لويس بالسنغال يوم 7 مارس 1817[1].

ولجأ المعلمون الفرنسيون إلى استعمال كل الوسائل الناجحة لنشر لغتهم بين الأوساط السنغالية، ومن ذلك فإنهم أنشأوا المدرسة الوولوفية ــ الفرنسية. وتنحصر مهمة هذه المدرسة في تعليم الفرنسية بواسطة اللغة الوولوفية المحلية. وعلى ما يبدو فهذه الطريقة قد نجحت في أول أمرها، وأعطت ثمارها بسرعة فائقة[2].

وبعد مدة من الزمن، اتجهت الحكومة الفرنسية نحو هدف آخر أكثر فاعليةً لنشر لغتها بين الأطفال السنغاليين، وأنشأت مدارس من طراز خاص، قصد بلوغ أهدافها السياسية التي رسمتها للبلاد، من ذلك أنها أنشأت مدرسة الرهائن (Ec. des Otages)؛ وتنحصر هذه المدرسة في تعليم أبناء رؤساء القبائل الذين وقفوا موقفا سياسيا مناوئا من الغزو الفرنسي للبلاد[3].

وقد أنشئت مدرسة الرهائن هذه في سنة 1855م، وزودت بنظام داخلي وكل مستلزمات الحياة المدرسية التي يتطلبها هذا النظام الأخير.

والتعليم كان فيها مجاناً. وأعطيت الأولوية في هذه المدرسة للغة الفرنسية على وجه الخصوص[4].

وفي ظرف خمس عشرة سنة كونت مدرسة الرهائن هذه، ما يقرب من ثلاث وثلاثمائة (303) طالبٍ سنغاليٍّ في اختصاصات مختلفة. من بينهم أحد عشر (11) طالبا عينوا كرؤساء دوائر، وتسعة (9) منهم عينوا كمترجمين في مصالح الإدارة الفرنسية. والتحق اثنان من هؤلاء الطلبة بالجيش الفرنسي برتبة ضابط.

---

(1) G. HARDY: L'Enseignement au Senegal P. 38.

(2) J. GAUCHER: P. 23.

(3) G. BRASSEUR: I'A. O. F. I. FA. N. 1957 P. 57.

(4) D. BOUCHE: P. 266.

أما ما تبقى من الطلبة الذين تخرجوا من المدرسة المذكورة فقد وجهوا إلى ذلك التعليم أو الإدارة[1].

وبقي هؤلاء الطلبة المتخرجون من مدرسة الرهائن يساندون بكل قواهم الحضارة الغربية عامة، وسياسة فرنسا الاستعمارية في البلاد خاصة[2].

وكان سبب إنشاء مدرسة الرهائن هذه سياسياً، شأنها شأن بعض المؤسسات الفرنسية التي أنشئت خصيصا لهذا الغرض. وعلى غرار مدرسة الرهائن السابقة أنشأت الإدارة الفرنسية في السنغال مدرسة بنات رؤساء القبائل[3]. التي لا تختلف في شيء عن سابقتها، إلا في كونها أنها تختص بتعليم البنات.

وزيادة على أن مدرسة بنات القبائل هذه قد أنشئت لأغراض سياسية معينة فإنها تسهل اتصال الإدارة الفرنسية بأعيان البلاد والعائلات الكبيرة المؤثرة على الحياة الاجتماعية والسياسية في السنغال[4].

وتتمتع تلميذات هذه المدرسة بالنظام الداخلي مجانًا، زيادة على أن المدرسة توفر لهؤلاء التلاميذات الملابس الأنيقة ووسائل النظافة من غسل وكي للملابس وغيرها، ولكن رغم هذا كله فبعض العائلات السنغالية تحفظت في إرسال بناتها إلى هذه المدرسة[5].

وبعد وقت من الزمن اتضحت لدى الإدارة الفرنسية ضرورة تطوير التعليم الفرنسي في السنغال؛ حسب الطرق المعمول بها في فرنسا نفسها. وتم فتح كثير من المدارس الابتدائية في المراكز الآهلة بالسكان في البلاد. وتدريجياً أنشئت المؤسسات التعليمية على مختلف أنواعها في السنغال. منها مدارس تقنية وتطبيقية

(1) D. BOUCHE: Même: Page.

(2) D. BOUCHE: Même: Page.

(3) L. SONOLET: P. 78.

(4) L. SONOLET: P. 74 à 80.

(5) L. SONOLET: Même: Pages.

مثل مدرسة وليام بونتي التي كونت كثيرا من الموظفين الإداريين والمعلمين الأوائل في البلاد[1].

أما برامج التعليم في هذه المدارس التي أنشئت في السنغال، فهي لا تخرج عن نطاق البرامج التعليمية الموجودة في فرنسا نفسها، وكل ما تختلف فيه البرامج الأولى عن الثانية هو أن وسائل الإيضاح في المرحلة الابتدائية تتلاءم نسبيا مع الواقع السنغالي[2].

وقد بلغ عدد المدارس الفرنسية في إفريقيا الغربية ما يقرب من 190 مدرسة موزعة كالتالي عبر المنطقة[3]:

41 مدرسة في السنغال

61 مدرسة في السنغال الأعلى ونيجيريا

31 مدرسة في غينيا

43 مدرسة في ساحل العاج

23 مدرسة في الداهومي

ومدرسة واحدة في موريتانيا

وقد يلتحق بهذه المدارس ما يقرب من 11.166 تلميذا[4].

وإذا قارنا عدد تلاميذ المدارس الفرنسية في المنطقة بعدد تلاميذ المدارس العربية، يبدو الفرق شاسعا بين التعليمين العربي والفرنسي[5].

ويبدو تفوق التعليم العربي على التعليم الفرنسي واضحا وذلك حتى نهاية

---

(1) G. BRASSEUR: PP. 57 à 58.

(2) D. BOUCHE: P. 266.

(3) L. SONOLET: PP 74 à 80.

(4) L. SONOLET: Même pages.

(5) انظر جدول عدد تلاميذ الكتاب في إفريقيا الغربية.

obeikandl.com

سنة 1912، حيث بلغ عدد تلاميذ التعليم العربي في إفريقيا الغربية في نهاية سنة 1909، ما يقرب من 54.386 تلميذاً[1]. بينما لم يبلغ عدد تلاميذ التعليم الفرنسي فى المنطقة خلال سنة 1911 ما يقرب من 11.166 تلميذاً فقط[2].

إذن يمكن القول بأن التعليم العربي في غرب إفريقيا قد ظل متفوقا على التعليم الفرنسي خلال العهد الاستعمارى للبلاد، وذلك حتى سنة 1912م.

لكن الإدارة الفرنسية سوف لا تبقى مكتوفة الأيدي أمام هذه الوضعية؛ وستبادر بإصدار قانون يدفع بالأهالي السنغاليين إلى أحضان المدارس الفرنسية، وبما أنه ليس هناك قانون ينص على إجبارية التعليم الفرنسي في البلاد، فقد اكتفت الإدارة الفرنسية بعدم توظيف أي شخص من الأهالي الأفارقة لا يحسن القراءة والكتابة بلغتها. وبواسطة هذا القرار سيرتفع باضطراد في المستقبل عدد تلاميذ المدارس الحكومية الفرنسية في البلاد[3].

خاصة بعدما يتخرج هؤلاء التلاميذ من المدارس الفرنسية ويبرهنون لمجتمعاتهم أنهم قادرون على كسب معيشتهم بكرامة ودون مشقة كبرى، وذلك على عكس زملائهم الذين لم يتعلموا قط، واقتصر تعليمهم على اللغة العربية[4].

ويحدد بعضهم أهمية التعليم الفرنسي والثقافة الفرنسية بالنسبة للفرد السنغالي، وما يمكن أن تترتب عنهما من نتائج لصالح الاستعمار الفرنسي في البلاد كما يلي[5]:

« . . . إن القيمة الاقتصادية للفرد المستهلك أو المنتج تزداد كلما ازداد هذا الأخير وتقدم ثقافيا، سواء كان هذا الفرد زنجيا أو أبيض، وأحسن طريقة بالنسبة إلينا هي أن نهيئ هؤلاء الزنوج ثقافيا، وذلك لخدمة أراضيهم بأنفسهم، وبالتالي

(1) انظر جدول عدد تلاميذ الكتاب في إفريقيا الغربية ومن بينها السنغال.

(2) L. SONOLET: PP 74 à 80.

(3) G. HARDY: Une Con. Mor. L'Enseignement en A. O. F. P. 157.

(4) G. HARDY: Une Conquête Mor. L'Ens. en A. O. F. P. 157.

(5) L. SONOLET: P. 80.

يصبحون بالنسبة إلينا من أحسن الأعوان.. وهل هناك رابطة أقوى من المدرسة بيننا وبين هؤلاء الزنوج..؟ فبواسطة المدرسة يعرفنا الزنجي ويتعلم آراءنا، وطرق الوقاية الصحية، والحياة السعيدة، وعمله يكون أحسن إنتاجا، كما أنه يساعدنا أحسن لنجعل من بلده (بلدا سعيدا وغنيا)..».

لقد أدركت الحكومة الفرنسية الدور الهام الذى تلعبه المدرسة لضمان مصالحها في مستعمراتها بغرب إفريقيا، لذلك لم تطمئن هذه الأخيرة للنتائج التي حققت في ميدان التعليم وذلك حتى سنة 1829م، الشيء الذي أدى بها إلى الإلحاح على مسئولي التربية والتعليم في السنغال، أن يبذلوا المزيد من المجهودات لتطوير قطاع التعليم الفرنسي في البلاد. ولجأت الحكومة الفرنسية إلى اختيار الرجال الأكفاء لتطوير قطاع التعليم في السنغال. وفي هذا الصدد عينت السيد بلان[1] (Balan)؛ وقد أبدى هذا الأخير كفاءة عالية ورغبة قوية في تطوير قطاع التعليم الفرنسي بالسنغال، لكنه مرض واضطر لأن يغادر البلاد ويعود إلى فرنسا[2].

وعمدت الحكومة الفرنسية إلى أستعمال كل الوسائل لتلقيح حضارتها للأطفال السنغاليين ونشر لغتها بينهم، ومن ذلك أن بعضهم[3] قد اقترح أن ينقل الأطفال السنغاليين من بلادهم إلى فرنسا حيث يتم تعليمهم وتكوينهم، ثم يعودون إلى بلادهم لمباشرة عملهم هناك[4].

ونفذت هذه الفكرة، ونقل عدد من الأطفال السنغاليين إلى فرنسا[1]. لكن

---

(1) قدم السيد بلان إلى السنغال سنة 1830، وهو أستاذ قديم في المدرسة العسكرية بفرنسا وقد اشتهر بكفاءته التعليمية وحسن تدبيره.

(2) D. BOUCHE: P. 157.

(3) اقترحت الفكرة السيدة جافوهي (JAVOUHEY) إحدى الرهبانيات البيض وقدمت بنفسها إلى السنغال خصيصا لدراسة وضع التعليم في البلاد.

(4) D. BOUCHE: P. 705.

جلّهم لم يأنس إلى هذه الهجرة المفاجئة، وكادوا أن يعودوا كلهم إلى بلدهم ماعدا ثلاثة منهم، الذين استطاعوا إتمام تعليمهم حتى المرحلة الثانوية، ثم عينوا قساوسة، بعد فترة تدريبية في السنغال. وعين كل واحد منهم في ناحيته الأصلية، أي مسقط رأسه[2].

وبعد محاولات شتى لإنقاذ وضع التعليم المتدهور في السنغال، لجأت الحكومة الفرنسية إلى طلب المساعدة من الرهبان البيض الفرنسيين، وطلبت من الرهبان البيض بلويرمال (Ies frér. PLOERMELL) أن يأخذوا على عاتقهم مهمة التعليم الفرنسي في السنغال. ولبّى هؤلاء نداء حكومتهم وقَدِموا إلى السنغال في سنة 1841م[3].

وقد اهتم الرهبان البيض بالتعليم التقني في أول الأمر وتنظيم التعليم الفلاحي، والمهني، والمهن الصناعية. ثم اهتموا بالتعليم العمومي، وعملوا كل ما في وسعهم لتطويره ونشره بين السنغاليين[4].

وعمد الإخوة بلويرمال في السنغال إلى استعمال كل الوسائل لجلب التلاميذ السنغاليين إلى أديرتهم قصد تمسيحهم، منها القانونية وغير القانونية.

وفي هذا المجال تذكر الوثائق تمسيح ابن مواطن مسلم من سكان مدينة سان لويس رغم أنفه[5]. وهو ابن السيد ماكا قارويز (Maka GARWER)، الذي استاءَ لهذا العمل، الذي أقدم عليه أحد الرهبان البيض المسمى القسيس أوتيم

---

(1) «السيدة جافوهي صاحبة فكرة نقل الأطفال السنغاليين إلى فرنسا، وهي التي صاحبت بنفسها الأطفال المنقولين من السنغال إلى فرنسا وسهرت على تكوينهم هناك: دينيا وثقافيا».

(2) D. BOUCHE: P. 705.

(3) D. BOUCHE: Mâme page.

(4) A. GOUILLY: P. 258.

(5) ARCHIVES / S. O. M. Paris - Dosssier SENEGAL No 10.

- انظر قرار حاكم السنغال فالون بتاريخ 20-9-1882 ـ ملحق.

(Ie Frér. ETHYME) وقد رفع السيد قارورير شكوى لحاكم السنغال، الذي أحالها بدوره إلى وزير المستعمرات السيد رومان ديفوس (R. DESFOSSES)، الذي نظر في القضية[1]. ويبدو أن الوزير لم يشاطر الراهب الأبيض الرأي، فيما يخص العمل الذى أقدم عليه[2].

* * *

(1) «عرض السيد رومان ديفوس وزير مستعمرات فرنسا الراهب أوتيم براهب آخر يدعى «إتيان مري» وقد أوصاه أن يكون لبقا في أداء رسالته وأن يتفادى استعمال العنف في تمسيح الأطفال السنغاليين. . .».

(2) G. HARDY: Une Conquêtte Mor. L'Ens. en A. O. F. P. 49.

obeikandl.com